« الانسان المشكلة »

الانسان المشكلة
الانسان المشكلة
الانسان
آدم من طيّر في جنبيك جناح النسل
فطرت
ورزقت من النطف البيض ... السود ...
البيض ... السود ... رزقت
وغزوت أقاليم الصمت الفطري
فشبّ الصمت عليك
وتدنس وجه الاشياء البرية
وفشى الموت
وعلى أغصان الليل عصافير
تنقش في صدر الصمت وساما
آدم
من أغرق في عينيك مسيح العصر
فغلى المرجل حزنا
من أنبت في أطرافك ريش البطش
فطاب الموت اليك
فصرت طليقا
وصرير الباب يهشّ علينا
آدم
من أطلقنا عبثا
نتكاثر في بطن التربة مثنى ... مثنى
وخلاصة أوراق الطين
سقوط
آدم
الصفر هو الصفر
فخل الارقام قطارا
يبصق في وجه محطات الملأين
آدم
الانسان المشكلة
الانسان المشكلة
الانسان

حلب — محمود علي السعيد

وزاد في عنفوان الشاعر أكله من خبز شيطان العبقرية الفذ ابي نواس الذي قال في الانسان ما لم يقله غيره فيه :

ومن هذا الايمان بالذات رصد الشاعر ريشته للانسان المبدع ، القادر على التغيير ، ينشده كما نشده سابقا أحد فلاسفة الاغريق على ضوء مصباحه في رابعة النهار ، والذي ظلت عيناه تقعان على الشخوص البشرية ، دون أن يبلغ غايته ، وهيهات ما بين الصورة والماهية :

« أين الانسان
هاتي ورقا
هاتي قلما
كي أرسم هذا الانسان
رأس .. جسم .. عينان
أنف .. بطن .. أذنان
أما أفراح الانسان
أما أحزان الانسان
أما أبعاد الانسان
أولست معي
هذي أشياء .. لا ترسم
قد تفهم
أو لا تفهم » ..

وظلت عملية البحث والنشدان .. لم ييأس الشاعر ، كما لم يمل الفيلسوف .. ورغم ان من لقيهم كالاحجار ، فما برحت الرغبة الملحاح تحفزه ، تدفعه بعدا في المدى ، واستكناها في الغور ، بأناة الحليم ، وصبر الحكيم .. ومذ كان الانسان ، على صغر جرمه — كما قال أبو نواس — كان أضخم من في الكون :

« لكن الشاعر لم يغضب
لم يتعب
هو يؤمن بالانسان
أرسل صوتا آخر دفق حنان
الآفا .. كمياه الغدران
خلاقا .. غمر الاكوان »

ذلك لان من يحمل في أعماقه قضية ، ويؤمن برسالة ، هيهات أن يقعده القنوط ، والايمان أبدا تمرد وتفجير طاقات .. لا يقف في حدود ما كان ، وانما يعمل لما يجب ان يكون .. ومتى وقف الابداع الشعري في حدود التعبير عن الآنية فلسفيا وزمانيا ؟.. والسمة المميزة له اختراق جدران الحاضر باعتماد قاعدة المعرفة ذاتيا وموضوعيا ، لتمثل وجه المستقبل :

« وانهمر الضوء
حماما من ألق غامر
شلالا من فرحة .
وارتسمت صور المستقبل لوحه
يشمخ فيها الانسان
ما أروع أن يرسم
انسان فنان
صور المستقبل
ما أجمل أن يثق الانسان
بالمستقبل » .

وكأني بعد ان وقفت على آخر قافية من هذا الديوان الصغير — الكبير — وقد تجاوزت الكثير من صوره الابداعية ولا سيما أسطورة الحب فيه ، رحت أسترجع صورة غوركي عندما كنت أتابعه في روايته الضخمة « أين الله » ... ذلك العبقري الجبار الذي كم طال نشدانه لمثله الاعلى حتى رآه أخيرا مجسدا حيا عملاقا بجموع الجماهير ... بالشعب الذي اجترح المعجزة فاقام الانسان الكسيح من سريره على هدير صوت ارادته ... وقديما وسم المتنبي شعره بهذه الصفة :

فسار به من لا يسير مشمرا وغنى به من لا يغني مغردا

وتلك وحدها صفة الكلمة الخالدة التي تلمس جدران الكون ... وتقف مع شمس الحقيقة وجها لوجه .

بيروت — نديم مرعشلي